الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر

التحديات الداخلية الخارجية

بقلم الأستاذ: أحمد عيساوي

حالة وواقع الفكر الإسلامي الحديث: أصيب العقل المسلم في مطالع القرن الثالث عشر الهجري ،التاسع عشر الميلادي بحالة من الإنبهار والإندهاش من جراء التقدم العقلي الأوروبي الذي واجهه أثناء الحملة الفرنسية على مصر (1213هـ 1216هـ / 1798م 1801م)، والحملة الفرنسية على الجزائر (1245هـ / 1830م)، كما أصيب العديد من الأقطار الأسلامية بحالة من الذهول و الإنبهار تلك، كالهند وسواحل الخليج العربي، وغيرها.

وأعقب حالة الذهول والإنبهار حالة المحاولات النهضوية الأولى، والتي شكلت البدايات الأولى لطلائع النهضة العربية والإسلامية مع الرعيل الأول من الإرساليات العلمية التي بعث بها والي مصر محمد علي باشا إلى أوروبا سنة 1826م، والتي رافقها الإمام المجدد رفاعة رافع الطهطاوي وعلي باشا الفلكي وغيرهما... الذين حاولوا أن يشقوا طريقا للعقل المسلم نحو عالم اليقظة الحضارية، وذلك بالأخذ بما عند الغرب من محاسن المدنية الأوربية المتقدمة؛ وهو ما تم بالفعل في البدايات النهضوية الأولى في مصر.(1)

وقد أحس العقل المسلم خلال القاءات الأولى بالعقل الأوربي المتقدم تكنولجيا آنذاك بنوع من التراجع والتردد، ووضع نفسه في موضع التابع المقلد الآخذ من العقل الأوربي المستنير والمتقدم مدنيا وتنظيميا... وإنكب على ما عند العقل الأوربي يأخذ منه ترجمة ونقلا وإقتباسا وأخذا

* أستاذ الفكر الإسلامي بالمعهد الوطني للعلوم الإسلامية باتنة.

وتأليفا، حتى صارت مصر في العقود الخمسة الأولى من القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي نسخة مصغرة للمدنية الغربية من حيث درجة المماثلة والإقتباس والنقل العلمي والتكنولوجي والتنظيمي والإداري وغيره...(2)

كما شهدت مصر آنئذ فتح المعاهد العلمية والمهنية والعسكرية المختلفة ،وقيام نهضة صناعية وزراعية وإجتماعية مقبولة آنذاك، لولا عمليات الإجهاض الداخلية التي حولت المنظومة التشريعية الإسلامية عن حكم مصر، وإستبدلتها بالمنظومة التشريعية الأوربية، التي إستبدلها محمد علي باشا بعد حكمه لمصر سنة 1805م ،والتي نحا فيها إلى الاحتكام إلى قانون نابليون عوض العمل بالشريعة الإسلامية .

ووضع العقل العربي والمسلم نفسه رهينا للمثل الثقافية الغربية الأوربية، ونشأ فصيل من المثقفين المتشبعين بالثقافة الأوربية من طلاب البعثات العلمية في فرنسا، والذين - بعد عودتهم - تشكلت على أيديهم المناهج والبرامج والأطر والهيئات الإدارية والقانونية وغيرها...التي أدارت مصر وبلاد الشام والسودان فكريا وثقافيا وعلميا وسياسيا وإداريا وتنظيميا ...

وبالتالي تشكل العقل المسلم في العصر الحديث وفق الأدبيات الفكرية والثقافية والعلمية التي تعتمد الحضارة الأوربية الليبيرالية قدوة عملية ونظرية لها، وظهر جيل من كبار المفكرين والمثقفين في مطالع ذلك القرن (13هـ / 19م) ممن تبنوا الليبيرالية الفكرية والثقافية الغربية أساسا لتعاملاتهم الفكرية النظرية والعملية، ولا سيما بعد أن لاقوا تأييدا واسعا من قبل الأنظمة آنذاك، وظهرت الكثير من الأسماء اللامعة، ممن توسعت آفاق تعاملاتها وإستكناهاتها وإستكشافاتها العلمية، والفكرية والثقافية من دائرة الإستفادة والإنتفاع العلمي والتكنولوجي البحت من الغرب الأوربي، إلى دائرة التقليد التام لكل ما أنتجته أوربا فكريا وثقافيا وأدبيا وفنيا وإجتماعيا وقانونيا وإداريا وتنظيميا ... حتى فيما له علاقة وطيدة بالقيم الثقافية والحضارية العربية الإسلامية، وإن لم تبد تلك الصيحات عالية في البدايات الأولى إلا أنها كانت تشكل منطلقات تأسيسية لفصيل المفكرين المستغربين الذين وجدوا في

المراحل اللاحقة سندهم الذي مهد لهم السبيل.

وقد تشكلت الخارطة في العالم الإسلامي آنذاك وفق الإتجاهات التالية:

1- فصيل المثقفين الليبراليين ممن إتخذوا من أوربا قبلة ثقافية وفكرية لهم.

2- فصيل المثقفين التقليديين ممن إرتهنوا في الوفاء للتقليد والماضي، ونبذوا كل مظاهر العصرنة والتطور.

3- فصيل المثقفين المستنيرين ممن إتخذوا عامل التوفيق بين التراث والمعاصرة.(3)

وكما تعرض المشروع النهضوي العربي الإسلامي في مصر إلى محاولات الإجهاض الداخلية، فإنه تعرض أيضا إلى محاولات الإجهاض الخارجية؛ وذلك بإيهام والي مصر محمد علي ومن بعده أبناءه الذين تعاقبوا على حكم مصر إلى فوائد الفتوحات الخارجية في المشرق والمغرب، فقد أغرى من قبل فرنسا بفتح الجزائر برا (4)، ولكنه عدل عن ذلك كما أغرى بفتح السودان والشام التي تمزق حكمه بعدها، وإنكفأ على مصر وحدها بعد معاهدة كوتاهية سنة 1843م، وإستفادة الغرب الأوربي من إضعافه وإضعاف الدولة العثمانية في تلك الحروب الجانبية.(5)

والمهم أن العقل العربي والإسلامي في العصر الحديث في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي قد خطا نحو المحاولات الحضارية النهضوية الأولى، وشكل طليعة مفكرة ومثقفة توزعت على الإتجاهات الثلاثة المذكورة آنفا. في الوقت الذى كانت فيه الأقطار العربية والاسلامية تقع فريسة للاستكبار الصليبي العالمي.

فشجع الاستكبار فميل المثقفين الليبيبرا ليين الموالين للمشاريع الفكرية الغربية على حساب الفصيلين المثقفين الآخرين ممن يتبنون اتجاه التقليد البحت، أو الأصالة والمعاصرة، وذلك لعدم انسجام طرحهما وخطهما مع توجهات وأهداف الإستكبار في العالم العربي والإسلامي .

حالة وواقع الفكر الإسلامي :

تميز الفكر الإسلامي المعاصر بعيد الحركات الإستقلالية العربية والإسلامية في منتصف القرن الرابع عشر الهجري العشرين الميلادي عن حركية الجيل الذي سبقه بجملة من المميزات :

1-تعدد اتجاهاته ومذهبياته الفكرية والثقافية :(فكر إسلامي ليبيرالي. فكر إسلامي يساري. فكر إسلامي معتدل.فكر إسلامي صوفي.فكر إسلامي تقليدي.فكر إسلامي تجديدي.فكر علماني....).

2- تنوع وتمايز طبقاته من المفكرين والمثقفين :(طليعة.نخبة.إنتيلجنسيا)

3- تنوع وثراء منتوجها وطرحها الفكري من الناحية الكمية والكيفية أيضا.

4- عمق ودقة المضمون الفكري، وتعقد لغة ومستوى الخطاب، وغلبة التضخم المصطلحي المستورد المقحم تعسفا في دراسة الأطر المرجعية المقدسة من جهة، والتراث التراكمي من جهة أخرى.

5- تعدد مستويات الخطاب الفكري الإسلامي المحلي والإقليمي والعربي والاسلامي والعالمي .

6- الإنفصامية الجدلية التجاذبية نيب مستوى الخطاب النظري، ومستوى التفاعل التطبيقي مع تلك الطروحات النظرية، على صعيد الأفراد والجماعات والهيئات المفكرة.

7- تنوع التحديات والعقبات الفكرية والمنهجية والسلوكية العملية التي يتعرض لها الفكر الإسلامي المعاصر.

8- عدم قدرة المفكرين على إحتواء إنشغالات وتساؤلات الجماهير وطموحاتها وتطلوعاتها، وفقدان الثقة بين طبقة المفكرين والجماهير.

9- الإنفصام بيم عالم المفكرين وطروحاتهم، وتطلعات وتصورات الأنظمة السياسية والتركيبات الإجتماعية.

10- تميز وفاعلية الطبقة المفكرة اليسارية -سابقا- والعلمانية الليبيرالية -لاحقا وحالا- مع الأنظمة القائمة والكيانات السياسية الحاكمة، بحيث تشكل طبقة المفكرين السند العقدي والايديولوجي والفلسفي لغالبية الأنظمة والكيانات الحاكمة.

11- اشتداد حدة الصراع الفكري والثقافي بين مختلف الإتجاهات والمذهبيات الفكرية الإسلامية على مستوى عالم الأفكار إلى غيره من المستويات.

12- الردة والنقمة على المرجعية وعلى التراث الذي قام على المرجعية خلال القرون الماضية، وجلد ومحاكمة الماضي بمنظار ومنهجية الفكر المعاصر.

13- بروز التيار التجديدي الإجتهادي التحرري في الفكر الإسلامي فكرا ومفكرين.

وتبقى هذه المميزات أهم السمات التي تميز بها الفكر الإسلامي المعاصر عن سلفه الفكر الاسلامي في العصر الحديث، الذي بقي محصورا في أطر الوفاء للماضي أو الثورة عليه أو محاولة التوفيق بين جذور الأصالة، ومبادىء وقيم المرجعية من جهة. وتطلبات المعاصرة والتجديد من جهة أخرى. دون أن يحدث خلخلة كبرى في البنى الفوقية والتحتية للمجتمع العربي والإسلامي، إلا بالقدر الذي يذهل العقل عن استعاب قضايا التطور غير المهيىء عقليا وفكريا ونفسيا لتقبلها في المجتمع العربي الإسلامي.

التحديات الداخلية :

وأجه الفكر الإسلامي خلال نشاطاته الذهنية والمعرفية والمنهجية في العالم العربي والإسلامي على الصعيد الداخلي جملة من التحديات الذاتية والموضوعية ذات التأثير المحلي،مما أعاقته عن ممارسة دوره التوعوي في نقل الأمة العربية والإسلامية من حالة الضعف والعجز الثقافي والفكري، إلى حالة الحيوية والفاعلية الفكرية، وقد تعددت تلك التحديات الداخلية وتنوعت بحيث شملت التحديات الفكرية النظرية من فئات المفكرين المعيقين لديمومته وفاعليتة الحضارية، كما شملت أيضا المشاريع والخطط التطبيقية على المستوى السياسي والاجتماعي والإقتصادي والثقافي والفكري مما زاد في إعاقته التطبيقية العملية.

وهكذا يجتمع على الفكر الإسلامي عاملان متكاملان متضامنان على المستوى الداخلي المحلي، سببا في إعاقته عن الإضطلاع بدوره الريادي الحضاري الداخلي بالنسبة للأمة العربية والإسلامية.

وقد تجسدت التحديات الداخلية متمثلة في الطليعة المفكرة التالية:

1- فصيل المفكرين المستغربين العلمانيين الليبراليين.

2- فصيل المفكرين من الطليعة العلمانية اليسارية.

3- فصيل المفكرين الجامدين والمقلدين السلفيين النصيين.

كما تجسدت التحديات الداخلية على المستوى التطبيقي العملي في الجوانب التطبيقية العملية التالية:

1- العوامل السياسية:

(فقدان الحرية عامة. إهدار الحقوق الأساسية للمواطن. فقدان الحريات الأساسية للمواطن، حرية التنقل، والتراسل، والتخابر، والإتصال، وإقامة العلاقات المختلفة العلمية والتجارية والثقافية. حرية الكتابة والرأي والنقد والتعبير والإعلام... الممارسة السياسية الحرة... التعسفات و التجاوزات اللاقانونية واللاديمقراطية. فقدان قيمة المفكر الحر...) .

2- العوامل الإجتماعية:

(إنهيار المستوى الإجتماعي للمواطن . الفقر. تراجع مستوى وفاعلية الخدمات العامة: الصحة، النقل، الأمن، الغذاء، العمل، السكن).

3- العوامل الفكرية و الثقافية :

(الجهل. الأمية . تراجع مستويات الإدراك والذكاء والوعي . تراجع روح المبادرة والفاعلية. إنتشار روح التواكل. عدم تأثير وفاعلية الأجهزة التربوية والتعليمية...تراجع دور الطليعة والنخبة...).

ولنستعرض الآن أهم رموز التيارات الفكرية التي أعاقت الفكر الإسلامي داخليا من الإنفلات والتأثير في تفعيل الأمة فكريا وحضاريا.

1- فصيل المفكرين المستغربين العلمانيين الليبيراليين:

شكل هذا الصنف من المفكرين الطليعة الأولى والعقبة الكأداء في وجه الفكر الإسلامي على الصعيد الداخلي، حيث إنبرى كتاب هذا الإتجاه- بحكم تكوينهم الإستغرابي- إلى طرح محاولاتهم الفكرية لإستقراء أهم المسائل و القضايا التي تعترض الفكر الإسلامي، والتي كانت موضوعة على بساط المناقشة منذ القدم، أو الجديدة المستحدثة التي شغلت الفكر الإسلامي الحديث.

وقد إنطلقت هذه الدراسات والإستكشافات للمرجعية وللتراث الإسلامي من قبل كتاب هذا الفصيل، من خلال تكوينهم وتتبعهم النظري بالفلسفات والنظريات الغربية القائمة على الأسس العلمانية التي توصل إليها الغرب بعد الثورة الفرنسية سنة (1776... 1779م) التي إستبعدت الدين عنة كل شؤون الحكم والمجتمع والسياسة والإقتصاد والفكر. فدرسوا الفكر الإسلامي هم مشبعون بالأسس النظرية الغربية المنهجية والمعرفية والفكرية، وحاولوا

خلال دراساتهم وإستكشافاتهم الفكرية تلك وضع الإسلام (مرجعية وتراثا فكريا) ضمن إطار ودائرة وحدود الأدوات والمنهجية والفلسفة الغربية العلمانية، وإخضاعه لتلك الأدوات عرضا ووصفا وتحليلا وإستنتاجا.

وبالإضافة إلى ذلك فقد شكلوا جبهة معارضة لبقية الإتجاهات المفكرة الإسلامية وغيرها، غير آبهين باي تبعة تنجر من تفسيراتهم وإستكناهاتهم الخاطئة للإسلام وللتراث الإسلامي. ووجدوا في طروحاتهم تلك السند من قبل الكيانات والأنظمة الحاكمة، التي كانت تسير في فلك التيار الحر الليبيرالي المدعوم من الغرب، فكانوا بذلك طلائع الفكر الإستغرابي على الصعيد المحلي الداخلي.

وقد تزعم هذا التيار في البلاد العربية المسيحيون واليهود أولا، ثم من تبنى رؤيتهم من المفكرين الإسلاميين العرب أمثال:(طه حسين، فرج فودة، زكي نجيب محمود، فؤاد زكريا، أحمد أمين، عبد الحميد العبادي...) الذين تربوا على أيدي المستشرقين والمستغربين الأوائل أمثال:(فرح أنطون، شبلي الشعيل، يعقوب صروف، مارون عبود، أنيس فريحة، أنيس المقدسي، جرجي زيدان، ناصيف اليازجي، بطرس البستاني...).(7)

وقد زخرت المكتبة العربية بالمئات من الأسماء من مفكري التيار الليبيرالي بحيث تحصي العديد منهم في كل قطر عربي أو إسلامي.. ممن تركوا نتاجا فكريا غزيرا سبب في مجمله عاملا من عوامل تعكير صفاء الإستكشاف لدى الكتاب والمفكرين الإسلاميين من جهة، كما شغلهم عن المحاولات الضرورية للإجابة على إشكالات العقل المسلم المعاصر المطروحة على الساحة الفكرية و الثقافية.

وقبل أن نعرج على المجالات التي كان وما زال تيار الاستغراب يستخدمها لتمرير طموحاته التغريبية، نود أن نتوقف عند بعض الرموز العلمانية الليبيرالية الفكرية عارضين نبذة طروحاتهم الاستغرابية، التي تراوحت بين ترك الدين جانبا، وتأليه العلم والانسان، وإلى الدعوة لكتابة اللغة العربية بالحروف اللاتنية، وإلغاء قواعد اللغة العربية النحوية والصرفية ... وستكون هذه الإطالة السريعة منخطفة مع بعض

كتابات وآراء الكتاب الأكثر شهرة في صميم هذا التيار، ومنهم : ((سلامة موسى.عبد الله العروى.محمد عابد الجابري.حسن حنفي.زكي نجيب محمود.عبد الرحمن بدوي.أنيس فريحة.محمد أركون)).

1 / سلامة موسى :

يقدم سلامة موسى أفكاره الاستغرابية صراحة يعلن فيها تبعيته ووفاء الفكر اللاتيني واليوناني القديم والاوربي الوثنى الحديث، غير آبه بالحقائق العلمية ولامنهجية والقيمية والكيانية ،ويدعو صراحة إلى ضرورة تقليد الغرب في كل شيء و الخروج عن القيم و المثل العلا التي أتى بها الإسلام، كما يدعو إلى ضرورة كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية ، ولطالما صرّح بهذه الأفكار عاليا عبر الصحف الاستغرابية ، أو بمؤلفاته التي كان يصدرها في دار طباعته الخاصة ،وهو يشارك في أفكاره تلك دعوة من طه حسين في كتابه مستقبل الثقافة في مصر الذي ألفه سنة 1932 م ودعا فيه إلى ما يدعو إليه سلامة موسى، ومن بعدها الدكتور أنيس فريحة اللبناني المسيحي.

ولنحاول تقديم بعض المقتطفات من فكر سلامة موسى المسيحي المعادي للشرق وللعروبة وللإسلام ففي كتابه " اليوم وغد" يصرح بضرورة رفض الانتماء الروحي والحضاري والتاريخي لكل الموروث التاريخي والحضاري الذي قدم إلينا من آسيا حيث يقول :(..كما ازددت خبرة وتجربة وثقافة توضحت أمامي أغراضي في الأدب كما أزاوله فهي تتلخص في أنه يجب علينا أن نخرج من آسيا وأن نلتحق بأوربا (8).

وبالرغم من تضبب موقع مصر الجغرافي عليه إلا أنه قصد بآسيا الانتماء الروحي والحضاري ، ولا سيما الدين الذي قدم من جنوب غرب آسيا.

ويصرح عاليا بكفره بالشرق وحضارة ودين وانتماء الشرق ، وحبه وولعه وتمنيه الانتماء إلى الغرب، فيقول بصراحة متناهية عارية عن الحقيقة العلمية والمنهجية :

(... فإني كلما ازددت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له وشعوري بأنه غريب عني ، وكلما زادت معرفتي بأوربا زاد حبي لها وتعلقي بها ، وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها.هذا

هو مذهبي الذي أعمل له طوال حياتي سرا وجهرا. فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب.(9)

بالرغم من جهده بمقومات ومعالم الثقافة الإسلامية، إلا أنه يعادلها ويدعو إلى التخلص منها، والأخذ بالثقافة الأوربية حيث يقول: (...يجب أن تكون ثقافتنا أوربية ، لكي نغرس في أنفسنا حب الحرية والتفكير الجريء..) (10) دون أن يدرك مقدار الحرية التي منحها الإسلام لكل أتباعه والداخلين فيه إيمانا أو حماية من أهل الصلح والذمة والمعاهدة.. ودون أن يدير نظره إلى التراث الفكري الإسلامي العريق في التقاليد الأصيلة، كحرية الفكر والجدال والمناقشة ...

والثقافة الشرقية عنده وباء يجب التخلص منه، فهي بالنسبة له مصدرها الهي غيبي يجب أن يكفر به وبها فيصرح في ذلك قائلا :(... والثقافة الشرقية يجب أن نعرفها لكي نتجنبها لما نرى من آثارها في الشرق : آثار العبودية والذل والتوكل على الآلهة..)(11).

ويدعو إلى التبعية للغرب في كل شيء حتى الثقافة الشرقية يجب أن نعرفها لكي نتجنبها لما نرى من آثارها في الشرق : آثار العبودية والذل والتوكل على الآلهة..)(11)، و يدعو إلى التبعية للغرب في كل شيء ، حتى الثقافة فيقول:" ... لماذا إذن لا نصطنع جميعنا الثقافةو الحضارة الأوربية، ونخلع ما تقمصناه من ثياب آسيا "(12) .

كما يجعل سلامة موسى في أول أولوياته مهاجمة الدين الإسلامي الذي يتحكم في كل شيء بدءا من الحياة الخاصة وانتهاء بالحكم والتربية فيصرح قائلا :(... أريد من التعليم أن يكون تعليما أوروبيا لا سلطان للدين عليه ، ولا دخول له فيه) (13) ، كما يريد أن يبطل شرائعه وأحكامه فيصرح قائلا : (... بحيث يعاقب بالسجن كل من يتزوج أكثر من امرأة ، ويمنع الطلاق إلا بحكم محكمة)(14).

ويذهب بعيدا إلى محاولة علمنة الشرق الإسلامي فيقول : (... من أهم النزعات النزعة العلمانية ، بإطلاق المدارس والحكومات من القيود الدينية ، لأن العلمانية نزعة أوبيه تشمل جميع الأمم المتمدنة تقريبا)(15).

دون أن يدرك مقاصد ومعاني وأبعاد العلمانية، والفروق بينها وبين اللادينية ، والتحرر من سلطة الدين، وتأليه العلم

والإنسان، وأبعاد ذلك في الفلسفة الأوربية والإسلامية التي تمجد العلم والإنسان والحياة والكون.

2/ عبد الله العروى :

يتساءل عبد الله العروى عن المفهوم الإسلامي للحضارة التي لا يمكن تحققها إلا بالهام رباني معين، مبعدا ونافيا بذلك دور المسلم ورسالته الحضارية تاريخيا وواقعيا ، ملقيا أسس قيام نهضة حضارية إسلامية لما عند الأمم الماضية و المجاورة للأمة الإسلامية . بالإضافة إلى طروحاته الاستغرابية المادية في تفسير حركية التاريخ و سير الحضارة، وعلاقة المسلم المتعددة مع ربه ومجتمعه ومسائل أخرى في النظام السياسي والاجتماعي التي تحمل تأولا تآمريا مغرظ على كنه و حقيقة الإسلام والحضارة الإسلامية.

ومن ذلك قوله :(.. إن المفكر التقليدي الإسلامي ينطلق من مسلمة مؤداها الموافقة بين العقيدة والسلوك والتنظيم الاجتماعي والمسار التاريخي، أي أن المعاني التي تدل عليها كلمات العقيدة والتي لا تتغير افتراضا، تحل تلقائيا وكليا في سلوك الأفراد اليومي، وفي التنظيمات وفي نتائج الأعمال الجماعية، داخل وخارج دار الإسلام، قد تتحقق هذه الموافقة في فترة من الفترات الزمانية ولكن بسبب الهام رباني، كما وقع أيام الرسالة المحمدية، غير أن هذا الشرط لا يذكره صراحة المفكر التقليدي الذي تعامل مع الأوضاع وكأن الإلهام ما زال ساري المفعول)(16)، وينسج على هذا المنوال في كل طروحاته الفكرية التحليلية للمرجعية و للتراث الفكري الإسلامي عموما.

3/ محمد عابد الجابري:

ودون التوسع في الجابري نورد فقط مقطعا من كتابه " الخطاب العربي المعاصر" حيث يعرض بتحليل نقدي مدى توغل المفكر والنموذج العربي الإسلامي في الماضي، ومدى استغراقه في كل تفاصيل و جزئيات الماضي، دون اهتمام للعصرنة بحيث تزداد العقبات والتحديات المعيقة للتطور. يقول:(.. إن النموذج العربي الإسلامي يزداد توغلا في الماضي، بشكل يجعل التفكير فيه يفقد أسبابه الموضوعية، والنموذج الأوربي الذي يتوغل في المستقبل بالشكل الذي يجعل الأمل في اللحاق به يتضاءل أمام اضطراد التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل..)(17)

4/ حسن حنفي :

ونفس الطروحات التي يثيرها الجابري في مدى تباين التوغل عند الإنسان العربي والمسلم،وعند الإنسان الأوروبي، فكلاهما موغل بعمق في اتجاهه المعاكس للاتجاه الآخر، ما جعل المفكر حسن حنفي يطرح تساؤله عن غياب الإنسان في تراثنا الفكري القديم،وعدم فاعليته وعدم وضوح معالمه النفسية والروحية والفكرية والمنهجية حيث يقول: (.. إذا أراد الإنسان منا أن يبحث عن ذاته في تراثنا القديم فانه لن يجدها، وهنا تبدو الأزمة، يشعر الإنسان منا بذاته ،ثم يفتش عنها في حضارته فلا يجدها، فيظل غائبا عن القديم، ويظل القديم تائها عنه.. إن أزمة الإنسان المعاصرة التي نتلمسها في غياب الإنسان في وجداننا المعاصر لغيابه في تراثنا القديم الذي هو موغل في التيه..)(18)

5/ زكي نجيب محمود.. 6/ عبد الرحمن بدوي..7/ أنيس فريحة.. 8/ محمد أركون.. :

وتحت مظلة الاستكشاف والبحث والاستكناه الفكري البحت يرتمي الدكتور زكي نجيب محمود في صراع بينه وبين التراث الفكري الذي قام حول المرجعية الإسلامية في القرون الماضية .

كما يتبنى الدكتور عبد الرحمن بدوي الفلسفة الوجودية ويتزعم تيارها في العالم العربي، وينصب نفسه حاميا ومدافعا عنها في الأدبيات الفكرية العربية(19).

وينتصب الدكتور أنيس فريحة منافحا ودافعا عن العلمانية الغربية في العالم العربي خاصة والعالم الإسلامي عامة ، ويضم صوته إلى طه حسين وسلامة موسى... وغيرها ويدعو إلى تبني التجربة التركية الكمالية في نبذ الحروف العربية وكتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية ، وإلغاء قواعد النحو والصرف العربي، بعد أن يسخر منها.(20)

ينطلق المفكر الجزائري العلماني محمد أركون إلى تقديم طروحات أكثر جراءة من العلمانيين العرب ويستغل فرصة حمايته من قبل الدوائر الاستعمارية الفرنسية ومظلة جامعة السربون الجديدة، التي تعني بالعلوم والدراسات الإسلامية، ليمرر جملة من الطروحات الخطيرة التي تمس – هذه المرة – صميم المرجعية ، فيتناول مسائل المصطلحات الإسلامية وتدوين القرآن وظروفه

وملابساته لدى أمة العرب، ويجترىء على مناقشة وإعادة قراءة المرجعية الدينية المقدسة وفق المنهجيات الفكرية الغربية الحديثة.(21)

و قائمة العلمانيين طويلة في العالم العربي و الإسلامي ،لأنهم وجدوا السند الحكومي في داخل الكيانات السياسية العربية والإسلامية القائمة، كما وجدوا الدعم من خارج تلك الأنظمة، كدعم الغرب الأوربي ومؤسساته؛ لكون فصيل المستغربين يشكلون – بالنسبة إليه – طلائع توعوية وفكرية لفلسفته وحضارته الغربية، ويقدمون له خدمات جليلة ومجانية، ولعل تأثيرها أعمق وأشد من تأثير المستشرقين والمستعربين الغربيين.(22)

2- فصيل المفكرين من الطليعة العلمانية اليسارية:

ولئن دعا الاتجاه العلماني اليبيرالي الفكر الإسلامي إلى ضرورة تقليد الفلسفة والفكر والنمط الغربي نظريا وعمليا، وتبنى نظامه الديمقراطي اليبيرالي فلسفة ونظاما، فإن تيار اليسار قد تمكن له أيضا في الطعن والدس في المرجعية والفكر الإسلامي فترة ما، ولاسيما بعد أن فقد تيار الاستغراب العلماني الغربي سنده في الأنظمة والكيانات الحاكمة، بعد موجة الحمى الانقلابية التي اجتاحت العالم العربي والإسلامي، بدعم من دول المعسكر الشيوعي (روسيا، الصين، أوربا الشرقية، كوبا، ذول جنوب شرق آسيا..) بعد الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين.

فبعد موجة الانقلابات وسقوط الأنظمة العربية والإسلامية الموالية للغرب في الخمسينيات وفي الستينيات(23) ضعف التيار العلماني الليبيرالي، و سطع نجم التيار العلماني اليساري، الذي كانت له طروحات على المرجعية والفكر الإسلامي.

وقد عرفت الساحة الفكرية العربية والإسلامية سنوات (1952م....1990م) أسماء وطروحات فكرية يسارية، نحاول استعراضها لأجل تكوين صورة تقريبية عن تفسيرات المفكرين من تيار اليسار وفهوماتهم للمرجعية المقدسة، وللتراث الفكري الإسلامي على ضوء النظرية الماركسية، التي تقوم على الديالكتيك والجدلية والصراع الطبقي وملكية وسائل الإنتاج والشيوعية في كل شيء.

ونحاول استعراض أهم مفكري تيار اليسار العربي ومنهم:
(ميشيل عفلق ، قسطنطين زريق، نواف عدوان، ناجي علوش، علي عقلة عرسان، جلال فاروق الشريف، أنطون مقدسي، خلدون الشمعة، سليمان العيسي، صفوان قدسي، الطيب تيزيني، أكرم الحوراني، زكي الأرسوزي...)

وقد تفوقع مفكرو التيار اليساري خلف متاريس الأنظمة العربية، التي اتخذت من الطرح الاشتراكي الممزوج بالقومية العربية فلسفة جديدة لها، وشكلوا أجنحة تراوحت بين اليسار الشيوعي المتطرف إلى أقصى اليمين اليسارية، وبين اليسار الاشتراكي القومي الذي يتبنى الأممية الثالثة والقومية معا، على عكس تيار اليسار الذي يتبنى الأممية الرابعة التروتسكية، أو التيار اليساري الشيوعي الأممي اللينيني الماركسي.

وبذلك أفرزت الساحة الفكرية العربية في طل سيطرة اليسار الشيوعي الاشتراكي الاتجاهات الفكرية اليسارية التالية:

1- اليسار الشيوعي اللينيني الماركسي الذي يتبنى الأممية الثالثة ، وهو تيار الشيوعية العالمية الذي يشكل يسار اليسار في التيار اليساري.

2- اليسار الشيوعي الماوي التروتسكي الذي يتبنى الأممية الرابعة، وهو تيار الشيوعية العالمية الذي يشكل يمين اليسار في التيار اليساري.

3- اليسار الشيوعي العربي الذي يمزج بين اليسارية اللينينية الماركسية والمفاهيم القومية العربية.

وكان لكل تيار يساري عربي امتداداته التنظيمية والحركية في التنظيمات الثورية العربية، التي قادت البلاد الغربية نحو سلسلة الانقلابات اليسارية ضد الكيانات والأنظمة العربية ذات الاتجاه الليبيرالي، والتي كانت تحكم البلاد العربية والإسلامية بعد خروج الاستكبار العالمي منها.

وقد تحصن مفكرو اليسار خلف تلك الأنظمة، وتقلدوا المناصب الثقافية والفكرية والأدبية والفنية والتربوية والتعليمية في تلك الأنظمة، وشكلوا ترسانات إمدادا للفكر اليساري عامة ولليسارية العربية خاصة، وأكثر المظاهر التي تجسدوا فيها ما يلي:

1- اتحادات الكتاب العرب المحلية والإقليمية والعربية

والعالمية، فقد كانت جل عناصر وأفراد اتحادات الكتاب العرب من أصحاب التوجهات اليسارية في الستينيات والسبعينيات والثمانينيات.

2- اتحادات الإعلاميين والصحفيين والتراجمة والمحامين والأطباء والصيادلة والمهندسين...

3- المراكز والدوائر والهيئات الثقافية القومية القطرية والقومية.

4-الجامعات والمعاهد وهيئات جامعة الدول العربية، ودوائر وجامعات الإرساليات المسيحية في العالم العربي: الكليات اليسوعية، الجزويت، الانجليكيات، الجامعة الأمريكية....

5- دور الطباعة والنشر والتوزيع التي تهتم بإصدار المؤلفات والدوريات اليسارية.(24)

6- طوائف كتاب وشعراء ونقاد ومسرحيي تيار الحداثة، وهم همل طويل تصعب الإحاطة به تسمية و إنتاجا بدءا من (البياتي ، بلند الحيدري، مظفر النواب، عبد المعطي حجازي، أمل دنقل، صلاح عبد الصبور، سميح القاسم، محمود درويش، الطيب صالح، منا مينا، هاني الراهب، وطار ملحم كرم...)

7- مفكرو المنظمات الفلسطينية (الجبهة الشعبية، الجبهة الديمقراطية، جبهة التحرير العربي، فتح، جبهة النضال العربي...) الذين خلفوا تراثا يساريا مخزونا في رفوف المكتبات .

ولنا وقفة الآن مع كاتب من كتاب اليسار في الغرب العربي الأستاذ" الطيب تيزيني" في كتابه (مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط)(25)، الذي يذهب فيه إلى محاولة إجراء تحليلات تعسفية على المرجعية المقدسة، والفكر الإسلامي من خلال النظرية الشيوعية القائمة على المفاهيم المادية الجدلية والصراع الطبقي، ومشاعية ملكية وسائل الإنتاج، حيث يقول:" ... إن الحركة الإسلامية في نشوئها وتبلورها، كانت تعبيرا عن البؤس الاجتماعي العميق لأكثرية سكان الحجاز - وخصوصا مكة - وفي نفس الوقت احتجاجا ضد هذا البؤس، وبالتالي سلاحا لتجاوزه... إن الحركة الإسلامية قد عبرت في تلك الحقبة من وجودها عن البؤس المكثف لجماهير العوام الأحرار ونصف الأحرار والرقيق المكيين على طريقتها الخاصة " .(26)

وهكذا وقف كتاب اليسار منذ البداية معاديين للدين محاربين له،

والمنصف فيهم فقط من حاول أن يدرس المرجعية و التراث الفكري بوضعه ضمن دائرة الجدلية المادية التاريخية والصراعات الطبقية ومشاعية ملكية مسائل الإنتاج.

ولم يختلف التفسير القومي والتحليل الثوري العربي للمرجعية وللتراث الفكري الإسلامي عن الرؤية اليسارية ، فقد اعتبر القوميون العرب على لسان منظرهم (ميشيل عفلق) أن الإسلام ما هو إلا مرحلة مرت بالأمة العربية في مرحلة من مراحلها، لان مرحلة التدين هي إحدى مراحل الأمة العربية، وهي اليوم – الستينات، السبعينات–تمر بمرحلة أخرى وهي مرحلة الميلاد القومي البعثي الجديد.(27)

وهم بمثل هذا التأول الخاطىء على المرجعية وعلى الإسلام، ينطلقون من نفس الطروحات اليسارية من نظرية ماركس في تطور المجتمعات عبر المراحل و الحالات الخمس، ومفادها ما يلي: (المرحلة الأولى: المشاعية، المرحلة الثانية: الإقطاعية، المرحلة الثالثة: البرجوازية، المرحية الرابعة: الرأسمالية، المرحلة الخامسة: الشيوعية).(28)

وهكذا شكل التيار اليساري بجميع فصائله أكبر عائق أمام الفكر والمفكرين الإسلاميين في الستينيات والسبعينيات من هذا القرن، حتى ذهب الكثير من الكتاب الإسلاميين إلى إجراء بعض المحاولات الإجرائية التوليفية بين الإسلام والاشتراكية في العالم العربي، وظهرت العديد من النتاجات الفكرية في تلك الفترة تحمل التعسف النكد بين الإسلام والاشتراكية، وهي تحت واجهات السلطة وتيار اليسار الفكري المسيطر، كما ظهرت تلك المحاولات السالفة من قبل التيار الحر مع علي عبد الرزاق في كتابه (الإسلام و نظام الحكم)، فكتب مصطفى الرافعي(الإسلام انطلاق لا جمود) و (الإسلام نظام إنساني)، وكتاب محمد الغزالي (الإسلام والمناهج الاشتراكية) ثم كتاب (الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين)، وكتب مصطفى محمود وخالد محمد خالد و غيرهم من الكتاب جملة من الكتب في سياق الكتابات اليسارية... إلى أن تهاوى الفكر اليساري مؤخرا لأنه كان يحمل بذور فنائه فيه ، ولولا الدماء التي سفكها الروس والأنظمة الموالية لهم لما استقامت

اليسارية كتيار فكري أو اجتماعي مدة يسيرة.

3- فصيل الجامدين والمقلدين السلفيين النصيين:

كان فصيل السلفيين أحد المعوقات والتحديات الذاتية التي تعرض لها الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر ، وكمنت التحديات تلك في القصور الفكري والمعرفي والمنهجي والعلمي الذي كان وما زال عليه مفكرو التيار السلفي، هذا التيار الذي يجعل من نفسه وفكره وعقله أسير ورهين النص القرآني أولا، ثم النبوي ثانيا مهما بلغت درجة ضعف الحديث أو الأثر(29)، وإن كنا نسلم بداءة ضرورة تقيد المفكر والفكر الإسلامي بدائرة المرجعية المقدسة (الكتاب، السنة صحيحها) ، فهما وتحليلا واستكشافا واستكناها ونقدا واستنتاجا... ونعد كل المفكرين الذين يتقيدون بإطار الكتاب والسنة مفكرين سلفيين، ولكن دون الاستماتة والتقوقع في إطار النص.

ولأن السلفية في منظورنا نزعة وانتماء عاطفي وشعوري وفكري ومنهجي وعلمي، يربط المفكر بخير القرون الإسلامية(30) ، في الوقت الذي ذهب فيه بعض القاصرين فكريا إلى اعتبار التيار السلفي مجرد فرقة من الناس تعيش في منطقة ما من البلاد الإسلامية والعربية ، وتحيا على نمط اجتماعي وفكري معين يرتبط بالتقيد المطلق والشديد بظاهر الكتاب والسنة صحيحها وضعيفها وكاذبها...(31)، وأنها مرتبطة بفقه الإمام أحمد بن حنبل وابن الجوزي وابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب فقط، ممن يتسمى أصحابها بأهل الحديث والسنة.

وقد غلب على هذا التيار الذي ينعت نفسه بالتيار السلفي أو أهل السنة والحديث جملة من المميزات التالية:

1- الارتهان الظاهري للنص، و الاكتفاء بظاهرة فقط، مع رفض كل محاولات المخالفة للظاهر من فهم المرجعية المقدسة (القرآن ، السنة).

2- تقديم الأحاديث على القرآن مع الأخذ بأضعف وأخذ الأحاديث والآثار.

3- استبعاد كل محاولات الاجتهاد والتأويل للمرجعية المقدسة.

4- معاداة كل محاولات التطور والرقي التكنولوجي والحضاري (تلفزيون، تصوير..).

5- الاستغراق في البداوة والارتهان في الماضي وواقعه المادي والمعنوي (لباس، سمات أنماط ثقافية..).
6- التشدد، والانغلاق والجمود الفكري والثقافي والمنهجي، ومعاناة كل جديد شكلا ومضمونا.
7- رفض التعايش والانسجام والتوافق مع بقية التيارات الأخرى بما فيها الإسلامية منها.
8- رفض الموروث الفقهي والفكري الإسلامي القديم الذي جاء عن غير مدرسة السلف: (ابن حنبل، ابن الجوزي، ابن تيمية، ابن القيم، ابن عبد الوهاب...)، واعتباره هرطقة زائدة مفسدة للدين.
9- تخطئة وتكفير ما عداها من التيارات الأخرى.
10- التوغل العميق والبعيد في الماضي نموذجا وفكرا ومنهجا وممارسة وغاية .
11- الانشغال بالصراعات المذهبية وتغليب الانشغال بالجزئيات دون فهم المنظومة التشريعية الإسلامية عامة (خلافات فروعية فقهية في العبادات وفقه الأسرة...).
12- فقدان الإستراتيجية الكلية والشمولية للإسلام، وللمقاصد العامة له، ولأبعاده التشريعية وامتداداتها في الفرد والأسرة والمجتمع والعالم الإنساني قاطبة.
13- التعامي عن فقه الواقع بكل أبعاده وإمداداته وتشعباته، ومحاولة فرض النموذج القديم بجزئياته وكلياته على الإنسان المعاصر دون مراعاة لسننية التطور والتمدن الإنساني.
14- التشبع بروح التعصب والتشدد والتعنت، ورفض كل أشكال التسامح والتلاقي، وتفضيل أسلوب التلاغي على أسلوب التلاقي.(32)
15- تمكنه من السند السياسي و الإداري و القانوني و التنظيمي و المالي و الاجتماعي، حيث تدعمه أغنى وأثرى قوة إسلامية مادية وعسكرية وسياسية في الجزيرة العربية، كما يجد له في بقية دول العالم الإسلامي امتدادات واقعية وبشرية وتنظيمية (الهند، الباكستان، أفغانستان...).

والمطلع على المخزون الفكري للتيار السلفي(33) يلحظ ارتهان مفكري - تجاوزا - تيار السلف في الماضي، وتقديم التصور السيئ عن الإسلام كمنظومة تشريعية سماوية شاملة لكل انشغالات الإنسان الغيبية والمادية،

ولكل تطلعات الإنسان الحياتية عموما.

وبالرغم من تعرضه - التيار السلفي - لموجات من النقد من التيارات الفكرية الأخرى غير الإسلامية، فإنه لاقى وما زال يلاقي نقدا لاذعا وشديدا من قبل التيارات الفكرية الإسلامية، التي ما فتىء مفكروها نقض ونقد دعائم ومنهجيات وممارسات الفكر السلفي.

كما لاقى نقدا ذاتيا من قبل مفكريه، ومن قبل الجهات العلمية الإسلامية كالمعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن والجامعات الإسلامية وغيرها.(34)

وإذا استعرضنا جهود العلماء و المفكرين الإسلاميين الذين تصدوا لسلبيات الفكر السلفي وتأثيراته على الفكر الإسلامي المعاصر سوف يطول بنا المقام، ولكن استعراض بعض أهم المسائل التي تعرض لها الشيخ محمد الغزالي كفيلة بأن تقدم لنا صورة عن مدى تدني مستوى الفكر والمنهجية والمعرفة لدى المفكرين السلفيين، وتكشف لنا عن مدى جهلهم بالسنن وفقه المرجعية والإطار، والواقع والسنن والأنفس والآفاق...والمعطيات الواقعية المحلية والدولية العالمية .

لقد شن الإمام الغزالي - رحمه الله تعالى - حملة عنيفة على الفكر والفقه السلفي في سائر كتبه ومؤلفاته ومحاضراته ونتاجاته العلمية، وأحصى عليهم سائر المسائل التي ينبرون للحديث فيها، وغالبها لا يتعدى ما يلي:

1- موقف الإسلام - التيار السلفي - حسب الفهم السلفي - من اللباس والأزياء والألوان والأنماط والسمات الشكلية للفرد.

2- موقفهم من الأكل والطعام والمشروبات والمركوبات والمنجزات الحضارية.

3- موقفهم من وسائل الإعلام والاتصال.

4- موقفهم من الفنون والآداب والجماليات عموما.

5- الانشغال ببعض القضايا الهامشية التي لا صلة لها بحاضر الأمة ومستقبلها ووجودها الرسالي والحضاري.

وهكذا يشكل التيار السلفي أحد التحديات الداخلية التي تعترض الفكر والمفكر الإسلامي في العصر الراهن في إطار التحديات المتعددة التي يتعرض لها داخليا وخارجيا.

العوامل الأخرى : بالإضافة إلى التحديات الفكرية التي يتعرض لها الفكر الإسلامي من قبل الفصائل

الفكرية التي عرضنا لها آنفا، تتجمع العديد من العوامل الأخرى المساعدة على تصعيد حملة التحديات أمام الفكر والمفكر الإسلامي وأهم هذه العوامل ما يلي:

1/ العوامل السياسية :

لا يعترض الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر التحديات الفكرية والثقافية والمنهجية المضادة والموازية التي يشكلها ضده كتّاب ومفكرو تيار الحداثة. العلمانية الليبيرالية واليسارية والقومية وتيار الفكر السلفي فحسب... بل يعترضه الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي القائم على الصعيدين المحلي والعالمي، بكل إفرازاته العملية السلبية والإيجابية على الفرد والمجتمع، بحيث يمس المثقف وغير المثقف من قريب أو من بعيد، فيجعل المفكر والمثقف يتأثر بأي شكل من أشكال التأثر، مما لا يضمن لفكره الفاعلية والتأثير والامتداد في المجتمع عامة والفرد المثقف خاصة.

وتعتبر العوامل السياسية والمناخ السياسي القائم أهم مفعل ومنشط للحركة الفكرية والثقافية بالنسبة للمفكر من جهة، وبالنسبة لتأثيراته الثقافية في الأفراد المثقفين خاصة والعاديين عامة، وبالنسبة للشرائح الاجتماعية المثقفة خاصة، والشرائح الاجتماعية العادية عامة.

ففقدان الحريات الأساسية عامة في العالم العربي والإسلامي يشكل أحد أكبر العوائق والتحديات الكبرى في وجه المثقف والمفكر العربي والمسلم، لأن فقدان الحريات والحقوق الأساسية للمواطن عامة وللمفكر والمثقف خاصة ستجعل من فاعلية المفكر محدودة، بالإضافة إلى شلها لإرادة الفكر وروح المبادرة، والمبادأة في معالجة قضايا ومعضلات الأمة الفكرية.

إن عدم توفر حرية النقد والكتابة والتعبير وإبداء الرأي في أمهات القضايا التي تمس واقع ومستقبل و مصير الأمة بالنسبة للمفكر والمثقف سيتسبب في تعطيل أداء المثقف لدوره الطبيعي والحقيقي من جهة، وفي تعطيل فاعليته التأثيرية في الأفراد والمجتمع، بالإضافة إلى حرمان المجتمع من إمكانية الاستفادة العلمية والمعرفية والمنهجية التي يضفيها عمل المفكر والمثقف عليه خلال حركيته وتفاعله المعقد والمتشابك بين مختلف شرائحه.

وفي الوقت الذي تحرص فيه الأنظمة الديمقراطية الليبيرالية في العالم على التوسع المكثف والعالي لتوفير الحد الأعلى من حرية الرأي بالنسبة للفكر وللمفكر وللثقافة وللمثقف،وذلك عن طريق فتح الآفاق المتعددة أمامه سياسيا وقانونيا وتنظيميا... بغية رفع أدائه ومنتوجه وعطائه الفكري والثقافي... يعيش المفكر والمثقف حالة من الحصار والتضييق والمصادرة والاختناق تفرضها عليه الأجهزة السياسية التي تسلطها عليه أجهزة الرقابة والمتابعة الصارمة في الكيانات العربية ذات التوجهات الاستبدادية، مما يدفع بالمفكر والمثقف العربي والمسلم إلى إحدى طرق الانعزال أو الهجرة الجسدية أو الفكرية أو الصمت وتفضيل مؤامرة السكوت المطبق على الاختلالات والخروقات والانزلاقات والانحرافات...

ثم إن فقدان المفكر والمثقف العربي والمسلم لمكانته وقيمته المعيارية والاعتبارية في المجتمع من جهة، وفي سلم وهيكل الكيان السياسي الحاكم يقلل من أهميته لدى الأجهزة السياسية من جهة، ولدى المجتمع من جهة أخرى. وبالتالي يجعله قليل الأداء والفاعلية .

كما أن حجم الضغوطات المسلطة عليه من جهة بغية عزله عن التأثير في الأفراد والمجتمع والعالم،وتحويله إلى العودة الذاتية دون التوجه الاجتماعي الإيجابي من جهة أخرى يخفف من وزنه الفكري والاجتماعي، ويتحول إلى مجرد (برجوازي) أو (رأسمالي) فاشل في مجتمع اشتراكي بروليتاري، ينظر إليه دائما بمنظار الارتياب والشك أو العداوة والتضاد.

وبمقدار سمك الحصار المفروض على المثقف من جهة: (حرية التراسل، حرية التخابر، حرية إعلام، حرية تنقل، حرية اتصال، حرية تجمع واجتماع...) وسمك الحصار المفروض على المجتمع من جهة أخرى لعزله عن الاحتكاك بالمفكر والمثقف... يكون العامل السياسي أخطر وأشد العوامل إعاقة لفاعلية العمل الفكري والثقافي في العالم العربي والإسلامي. ويزيد من تكريس وتعميق الشرخ الحضاري بين عالم الأقوياء المسيطرين ثقافيا وحضاريا... وبين العالم العربي والإسلامي المتخلف والمنكفئ على نموذجه القديم الموغل في

المثالية والطوباوية الغارق في الماضي.

ودون الدخول في تحليل بنيات وجزئيات واقع المفكر والمثقف في العالم العربي والإسلامي، وموقف الكيانات والأنظمة العربية الحاكمة من المثقف والمفكر والفكر والثقافة لاعتبارات ليس المقام مقام تفصيلها والخوض فيها نسجل ما يلي:

1/ تردي أوضاع الفكر والمفكر والثقافة والمثقف في العالم العربي والإسلامي من الناحية السياسية، بحيث يشكل المفكر والمثقف الملتزم (35) في منظور الكيانات العربية والإسلامية الحاكمة مصدر قلق وخطر وخوف على مصير ومستقبل النظام للاعتبارات ذات الطابع التوعوي والإرشادي التي يقوم بها المثقف والمفكر بشكل مستمر ودائم وباتجاه الأفراد والمجتمع، مما يجعل حكام تلك الكيانات إلى اضطهاده وتضييق الخناق عليه.

2/ تهميش المفكر و المثقف سياسيا وإداريا وقانونيا وتنظيميا وهيكليا و اعتباريا من قبل المنظومة التشريعية للكيانات و الأنظمة العربية و الإسلامية القائمة.

3/ تضييق الخناق بكافة أشكاله على المفكر و المثقف، والحيلولة دون اتصاله المباشر والحر والدائم بالأفراد والمجتمع.

4/ فقدان سياسية ثقافية و فكرية واضحة تجاه المثقف و المفكر و الفكر و الثقافة، و عدم وجود خطة سياسية ثقافية ثابتة مرجعيا متطورة عصريا ومنهجيا وأسلوبيا...

5/ عدم حماية المثقف و المفكر وإنتاجهما الفكري والثقافي مما يعرض المفكر والمثقف إلى كل المتربصين به و بمستقبله و إنتاجه من لصوص القرصنة الفكرية وغيرها...

و هكذا تشكل العوامل السياسية أهم التحديات التي تقف في وجه المفكر و المثقف العربي و المسلم، وتمنعه من أداء رسالته الحضارية على وجهها الأكمل، ولذا لمحاولة رفع ذلك الأداء الحضاري للمفكر و المثقف يجب مراعاة جملة من الحقوق و الحريات الأساسية الواجب توفرها بالنسبة للمثقف و المفكر من قبل الكيانات والأنظمة الحاكمة العربية والإسلامية والتي من أهمها:

1/ تحسين أوضاع المثقف والمفكر، و تصويب النظرة اليه، والتعامل معه وفق حقيقته

وجوهره ووظيفته ورسالته الحضارية في الرقي بالأفراد والمجتمع والدولة.

2/ إعادة الاعتبار للمثقف والمفكر سياسيا وإداريا وقانونيا وتنظيميا واعتباريا ومعياريا من قبل المنظومة التشريعية لتلك الكيانات و الأنظمة الحاكمة.

3/ رفع الحصار المفروض على المثقف و المفكر الملتزم، و فتح الآفاق أمامه لكل ما يعزز دوره الحضاري في أداء رسالته النبيلة.

4/ تصحيح الأنظمة لرؤيتها وتصوراتها و مفاهيمها للفكر والمفكر وللثقافة و المثقف، ووضع خطة سياسية ثقافية وفكرية واضحة المرجعية والأطر ضمانا من الانزلاق و الردة والتراجع.

5/ حماية المثقف و المفكر والفكر والثقافة والإنتاج الفكري والثقافي من كل أشكال القرصنة واللصوصية المتسلطة.

وهكذا يبقى العامل السياسي فلسفة و نظاما وممارسة أحد المعوقات الرئيسية التي تحول دون تطور رسالة الفكر و المفكر في الإسلام في العصر الراهن.

2/ العوامل الاجتماعية و الاقتصادية: تعد العوامل الاجتماعية والاقتصادية الوجه الحقيقي والطبيعي للعوامل السياسية المستحكمة في وضع الفكر والمفكر من جهة، ووضع الأفراد والمجتمع من جهة أخرى. فإن انهيار المستوى الاجتماعي والاقتصادي للمفكر و المثقف في المجتمعات العربية والإسلامية...يحرم الأفراد من جهة، و المجتمع من جهة أخرى، والمثقف من جهة ثالثة من إقامة علاقات حقيقية وسوية تتناسب ودور ووظيفة و رسالة كل طرف حسب وجوده الطبيعي و الوظيفي في إطار المنظومة الاجتماعية والحضارية للفكر وللمفكر وللفرد وللمجتمع.

ثم إن حالة المثقف والمفكر الاقتصادية و تراجع مستوى حياته الاقتصادية والاجتماعية:(سكن، صحة، مستوى معيشي، مستوى الخدمات المتنوعة، فقر...) من جهة، و حالة الفرد و المجتمع الاقتصادية و الاجتماعية من الجهة المقابلة... ستجعل كلا من المفكر و المثقف، و كلا من الفرد و المجتمع في حالة إنهاك وعياء تام بحيث تشغل الطرفين عن الاهتمام و الاشتغال التام والفعال بقضايا الفكر و الثقافة، مهما بلغت درجات التحدي والصعود

والصبر والنضال والجهاد الدؤوب لدى الطرفين، نظرا لأهمية ودور وتأثير المستوى الاقتصادي والاجتماعي في تفعيل وتنشيط وتحريك همم وأداءات واستجابات الطرفين للفعل الثقافي والفكري.

ودون الدخول في تفاصيل الواقع العربي و الإسلامي المتسم بفروقات خطيرة و طبقية بشعة، بين طبقة المسحوقين من سواد وعامة البروليتاريا(36) الشعبية، والتي تكون الكم الواسع من الجماهير، و بين طبقة المترفين المتنعمين من البرجوازيين والرأسماليين والانتفاعيين وغيرهم... فإن الواقع الاقتصادي والاجتماعي للمثقف والمفكر يتشكل وفق الواقع المزري التالي:

1/ تردي أوضاع المثقف والمفكر الاقتصادية والاجتماعية والمادية خاصة من (سكن، صحة، غذاء، نقل، عمل، مدخول مادي، اعتبار معياري اجتماعي و قيمي في ظل تراجع سلم القيم، مستوى خدمات...).

2/ فقدان سياسية تنموية شاملة تأخذ بعين الاعتبار واقع المفكر والمثقف والمجتمع عامة.

3/ طغيان روح الاستهلاك والتسويق والاستيراد... على روح الإنتاج والإبداع والابتكار وتهميش الإنتاج المحلي الوطني بدءا من الثقافة والفكر وانتهاءا بالجوارب والعطور والكماليات.

وهكذا تكون العوامل الاقتصادية و الاجتماعية من أهم العوامل المعيقة لتطور الفكر الإسلامي في العصر الراهن على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي، و يزيد واقع المثقف والمفكر المزري اقتصاديا واجتماعيا من عزلة المثقف والمفكر الجسدية والفكرية والفاعلية مما يجعل قطاع الثقافة والفكر مجرد هياكل ميتة من غير فاعلية.

3/ العوامل الفكريةو الثقافية :

تعكس الحالة الفكرية والثقافية للفرد والمجتمع بدقة ووضوح السياسة التربوية والتعليمية والإعلامية والتكوينية والفكرية والثقافية للكيان السياسي الحاكم في أي قطر ما. وبمقدار المستوى الثقافي والفكري الذي يكون عليه الفرد والمجتمع يكون التجاوب متناسبا مع رسالة ووظيفة المثقف والمفكر، ويكون التجاوب متناسبا مع وتيرة النمو والتطور والتقدم في ذلك المجتمع.

فالمجتمعات التي ترتفع فيها نسبة الأمية الحرفية، والأمية

الثقافية والفكرية، ويفشو فيها الجهل والفكر الخرافي والاعتقاد الأسطوري والخيالي، وتنعدم فيها مستويات الفهم والوعي الحضاري، وتنتشر فيها روح التواكل والقدر والجهل والطرقية والصوفية الاستغلالية المنحرفة... يكون دور وأداء المفكر والمثقف ضئيلا و متراجعا لا فاعلية و لا تأثير له. وذلك حال المجتمعات العربية والإسلامية في العصر الحديث والراهن بشكل عام.

فهذه المجتمعات التي باتت الأجهزة الإعلامية والاتصالية والتعليمية والتربوية والتكوينية فيها مسيسة ومسيرة لخدمة توجه سياسي معين، لا يراعي التطور السنني والحضاري لتطور المجتمعات، والذي يفتقد إلى سياسة ثقافية و فكرية مضبوطة المرجعية والأطر... يصبح دور المثقف والمفكر فيه دورا عديم الجدوى والأداء و التأثير إلا على مستوى الطليعة و النخب فقط.. و يضع المفكر و المثقف في منأى عن التواصل العلائقي بالشرائح الاجتماعية المختلفة،و بالتالي يبقى المجتمع و الفرد في وضع استاتيكي يسبح ويمجد و يهلل ويهتف بالشعارات الدائمة لحياة النظام و الكيانات السياسية القائمة، على الرغم من تجاوز المجتمعات العالمية لمرحلة الشعاراتية والتهليلية البائدة.

وعليه فان وضع المثقف والمفكر والمجتمع الفكري والثقافي يشكل أكبر تحد يواجه تأثيرية و فاعلية الفكر والمفكر الإسلامي على الصعيد المحلي والإقليمي والعالمي، ويجعله مجرد ديكور فاره و فارغ يشهد على وجود هياكل ثقافية و فكرية كواجهات إعلامية براقة تستخدم بغرض النفاق السياسي المتعارف عليه في ظل الأنظمة و الكيانات التي تحكم العالم الإسلامي المتخلف عامة.

وإذا أريد للفكر الإسلامي الفاعل و للمفكر و للمثقف الإسلامي الفاعل التأثير في الواقع بمختلف مستوياته الأفقية والعمودية،و تحويله من مجرد واجهة إعلامية براقة تشهد على وجود هياكل ثقافية في المجتمعات العربية والإسلامية لا بد من إحداث الوضع الآتي:

1/ اعتماد سياسة ثقافية واضحة المعالم و الأطر المرجعية تستند أصلا إلى قيم وأصالة وتراث الأمة و المجتمع وتتناسب معها نظريا وتاريخيا وحضاريا وواقعيا.

أ.أحمد عيساوي ـــ

2/ الكف عن استيراد المشاريع والفلسفات والأنظمة والخطط الثقافية التي تفتقد الأصالة والتجذير الحضاري للفرد والمجتمع، والغريبة عنه روحيا وحضاريا.(37)

3/ تشجيع الإنتاج الثقافي والفكري المحلي والوطني العربي الإسلامي،وتمكينه من منافسة الإنتاج الاستيرادي الدخيل بكافة الوسائل والإمكانات والأساليب المتاحة.

4/ رفع أداء و فعالية الأجهزة الوطنية و العربية و الاسلامية، وجعلها في خدمة الرسالة الحضارية للفكر والمفكر وللثقافة والمثقف.وإبعادها عن الممارسات السياسوية الضيقة والهزيلة.

5/ إعادة الاعتبار لرسالة الثقافة والمثقف والفكر والمفكر قيميا واعتباريا و جعلها في أعلى سلم القيم في المجتمع.

6/ رفع مستوى المفكر والمثقف ماديا و اقتصاديا و مهنيا وقانونيا واجتماعيا وسياسيا، وجعله يتبوء أعلى المهام في المجتمع، ولا يقتصر دوره فقط على التوجيه والإرشاد والتكوين... بل يتعدى دوره إلى أبعد من ذلك بحيث يصبح طليعة الجماهير و رائدها الحضاري النظري والسلوكي والعملي و الانجازي.

وفي غياب مثل هذه السياسة التي تعتمد المثقف والمفكر كرائد وملهم ومسير وموجه ومعلم... للفرد وللشرائح الاجتماعية الفاعلة في المجتمع وللمجتمع عامة، لن يستطيع الفكر والمفكر العربي والإسلامي الاضطلاع بدوره الثقافي و الفكري المنوط به رساليا وحضاريا في ظل واقع محلي هزيل،و إقليمي مختل، ودولي غير مستقر، وعالمي مفلس مهزوم روحيا وفكريا وعقديا... وإلا سيبقى التحدي الفكري والثقافي أهم خط يعوق مسيرة الفكر والمفكر والثقافة والمثقف الإسلامي.

الهوامش

1/ جرجي زيدان. تاريخ آداب اللغة العربية. دار مكتبة الحياة. بيروت. دون طبعة. 1983 ج2. ص381...

2/ أسعد طلس(دكتور). تاريخ العرب. دار الأندلس للطباعة و النشر ولتوزيع. دمشق. الطبعة الثانية. 1399هـ-1979م. ج2. ص 36...

3/ لمزيد من الإطلاع راجع جرجي زيدان. ج2. ص 528...

4/ أبو القاسم سعد الله(دكتور). أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر. ج1.ج2.

ج3 . المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. طبعة ثانية. 1987م.
5/ أسعد طلس. تاريخ الغرب. ج2. ص 76...
6/ العلمانية:

العلمانية ترجمة غير دقيقة، بل غير صحيحة لكلمة"Secularism " في اللغة الإنجليزية، أو "Secularite" أو"Laique" بالفرنسية. و هي كلمة لا صلة لها بلفظ (العلم) و مشتقاته على الإطلاق.

فالعلم في الإنجليزية و الفرنسية يعبر عنه بكلمة "Science " و المذهب العلمي تطلق عليه لفظة و مصطلح "Scientism "، و النسبة إلى العلم هي " Scientific" أو "Scientifique " في الفرنسية.

و الترجمة الصحيحة لمصطلح " العلمانية " هو أو هي " اللادينية " أو " الدنيوية "، لا بمعنى ما يقابل الآخروية فحسب، بل بمعنى أخص، و هو ما لا صلة له بالدين، أو ما كانت علاقته بالدين علاقة تضاد.

و انما ترجمت الكلمة الاجنبية بهذا اللفظ (العلمانية)، لأن الذين تولوا الترجمة، لم يفهموا من كلمتي (الدين) و (العلم) إلا ما يفهمه الغربي المسيحي منها.

و الدين و العلم في مفهوم الانسان الغربي متضادان متعارضان، فما يكون دينيا لا يكون علميا، وما يكون علميا لا يكون دينيا، لأن العلم و العقل يقعان في مقابل الدين، و العلمانية و العقلانية في الصف المضاد للدين.

تقول دائرة المعارف البريطانية في مادة "Secularism" هي حركة اجتماعية، تهدف إلى صرف الناس و توجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الإهتمام بهذه الدنيا وحدها، و ذلك أنه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا، و التأمل في الله و اليوم الآخر،و في مقاومة هذه الرغبة طفقت الـ "Secularism " تعرض نفسها من خلال تنمية النزعة الانسانية، حيث بدأ الناس في عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالانجازات الثقافية و البشرية و بامكانية تحقيق مطامحهم في هذه الدنيا القريبة.

و ظل الاتجاه إلى "Secularism" يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله، باعتبارها حركة مضادة للدين، ومضادة للمسيحية.

ويقول قاموس (العالم الجديد) " لويستر " شرحا للمادة نفسها:

(1) الروح الدنيوية، أو الاتجاهات الدنيوية،و نحو ذلك على الخصوص: نظام من المبادئ و من التطبيقات " Practices" يرفض أي شكل من أشكال الايمان و العبادة.

(2) الاعتقاد بأن الدين و الشؤون الكنسية، لا دخل لها في شؤون الدولة، وخاصة التربية العامة.

و يقول معجم (اكسفورد) شرحا لكلمة " Secular ":

(1) دنيوي أو مادي، ليس دينيا و لا روحيا، مثل التربية اللادينية، الفن أو الموسيقى اللادينية، السلطة اللادينية، الحكومة المناقضة للكنيسة.

(2) الرأي الذي يقول : أنه لا ينبغي أن يكون للدين تأسيس الأخلاق و التربية، بل للإنسان وحده .

و يقول المعجم الدولي الثالث الجديد عن مادة " Secularism " :

" اتجاه في الحياة أو في أي شأن خاص، يقوم على مبدأ أن الدين أو الاعتبارات الدينية يجب أن لا تتدخل في الحكومة، أو استبعاد هذه الاعتبارات استبعادا مقصودا، فهي تعني السياسة اللادينية البحتة في الحكومة.

وهي نظام اجتماعي مؤسس على فكرة وجوب قيام القيم السلوكية و الخلقية على اعتبارات الحياة المعاصرة والتضامن الاجتماعي دون النظر إلى الدين.

و يقول المستشرق (آربري) في كتابه (الدين في الشرق الأوسط) عن الكلمة نفسها:

" ان المادية العلمية و الانسانية والمذهب الطبيعي و الوضعي، كلها أشكال للادينية،و اللادينية صفة مميزة لأوربا و أمريكا، و مع أن مظاهرها موجودة في الشرق الأوسط، فانها لم تتخذ أي صيغة فلسفية أو أدبية محددة، والنموذج الرئيسي لها هو فصل الدين عن الدولة في الجمهورية التركية".

* عن سفر ابن عبد الرحمن الخوالي. العلمانية. رسالة الماجستير. جامعة أم القرى. المملكة العربية السعودية./ عن يوسف القرضاوي (دكتور). الاسلام والعلمانية وجها لوجه. مكتبة رحاب الجزائر. الطبعة الثانية. 1409هـ-1989م. ص 48، 49، 50. بتصرف.

7/ جرجي زيدان . تاريخ آداب اللغة العربية. ج2. ص 399...

أنيس المقدسي . الفنون الأدبية و أعلامها. دار العلم للملايين. بيروت. الطبعة الثانية. 1978م. ص55...

8/ سلامة موسى. اليوم و الغد. دار سلامة موسى للطباعة و النشر و التوزيع. القاهرة. الطبعة الأولى. 1946م. ص 7.

9/ سلامة موسى. اليوم و الغد. ص 7.

سلامة موسى . الدنيا بعد ثلاثين عاما. دار سلامة موسى للطباعة و النشرو التوزيع. القاهرة. الطبعة الثانية. 1946م. ص 43...

10/ سلامة موسى. اليوم و الغد. ص 7.

11/ سلامة موسى. اليوم و الغد. ص 7.

12/ المرجع نفسه. ص 9 .

13/ 14/ سلامة موسى. اليوم و الغد. ص 7.

15/ سلامة موسى . اليوم و الغد. ص 12 .

16/ عبد الله العروي (دكتور). ثقافتنا في ضوء التاريخ. دار بوسلامة للطباعة و النشر. تونس. طبعة أولى. 1981م . ص 184 .

17/ محمد عابد الجابري (دكتور). الخطاب العربي المعاصر. دار الطليعة. بيروت . طبعة أولى. 1980م . ص 20...

18/ حسن حنفي (دكتور). دراسات اسلامية. دار المعرفة الجامعية. الاسكندرية. الطبعة الأولى. 1979م . ص 299، 300 .

19/ عبد الرحمن بدوي (دكتور) . دراسات في الفلسفة الوجودية . مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. الطبعة الثانية. 1966م .ص 6 ...
20/ أنيس فريحة (دكتور). دراسات في اللغة العربية. دار العلم للملايين. بيروت. طبعة أولى. 1965م .
21/ محمد أركون (دكتور). الفكر الإسلامي. مطبعة لافوميك. الجزائر. طبعة أولى. 1993م
22/ راجع سليمان عبد الدايم الخطيب (دكتور). أسس مفهوم الحضارة في الاسلام. ديوان المطبوعات الجامعية. الطبعة الأولى . 1983م .ص 343 ....
23/ ابحث في الانقلابات العربية التي تبنت تيار الثورية القومية العروبية أو ما يسمى بتيار القومية العربية أو بالتيار العروبي الذي هو مزيج بين الاشتراكية والشيوعية الالحاديةو القومية. (مصر 1952م العراق 1958م سوريا 1963م السودان 1958م الجزائر 1965م...).
24/ راجع الدوريات اليسارية:
آمال. الثقافة و الثورة الجزائرية.الأقلام وآفاق العربية العراقية. الشورى الليبية. الثقافة المصرية.الموقف الأدبي السورية...
راجع غالي شكري (دكتور) محاورات ليوم السابع.دار الطليعة.بيروت.الطبعة الأولى 1980م.
راجع جلال فاروق الشريف (دكتور).أفكار فلسطينية. منشورات إتحاد الكتاب العرب .دمشق الطبعة الأولي 1981م.
راجع ناجي علوش(دكتور). عودة إلى موضوعات الثورة العربية.دار الكاتب بيروت الطبعة الأولى .1978.
راجع يسارى لبناني. اليسار الحقيقي واليسار المغامر .منشورات دار الفرابي .بيروت.الطبعة الأولى 1970.
25/ راجع طيب تيزيني.مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط.ص 155...
26/ راجع أدبيات الفكر السياسي الشيوعي والقومي العربي خلال الستينيات والسبعينيات..
27/ راجع كتابات عبد الله الاحمر.محمد جابر بجبوج. القومية العربية والانسان العربي الجديد.منشورات حزب البعث العربي الاشتراكي.دمشق.القيادية القطرية والقومية.الطبعة الاولى.1974م.
28/ راجع كارل ماركس.رأسا المال.مطبوعات سوفياتية.موسكو.دون طبعة 1970م.
29/ راجع مناع القطان.التشريع والفقه في الاسلام.دار الشروق.دار الرسالة.بيروت.الطبعة الأولى 1401هـ 1981م.
30/ محمد الغزالي.دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين.دار الكتب.الجزائر.دون طبعة 1408هـ 1988م .ص 132...
31/ المرجع نفسه ص 132...
32/ ردوا على كتاب الشيخ محمد الغزالي السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث. بحوالي عشرين كتابا، غلب عليها طابع التخمين والظن والتجني والشتم واللاموضوعية العلمية

منها مثلا :/ سمط اللآلي في الرد على الدعي والمتقول الغزالي.
وتاريخ .راجع كتابات مفكري التيار السلفي.
34/ راجع سلسلة الكتب التي أصدرها المعهد العالمي للفكر الاسلامي، والتي عالج من خلالها عيوب التيار السلفي، وآثاره السلبية على الفكر الاسلامي الحديث والمعاصر، وتأثيراته السلبية على واقع الحركة والدعوة الاسلامية واقعا ومستقبلا.
35/ مصطلح الالتزام و الملتزم له معاني و مفاهيم متعددة أفقيا و عموديا، فالملتزم في المصطلح التاريخي عند دولة المماليك و الدولة العثمانية له دلالته الخاصة على الذي يجمع الضرائب و يقدمها للوالي... و نعني بمصطلح الملتزم المفكر الذي يتبنى خطا عقديا واضحا فكرا و ممارسة.
36/ إن استخدامنا لبعض المصطلحات ذات المفهوم الليبيرالي أو اليساري من باب شيوع مثل تلك المصطلحات عالميا فقط في الأدبيات الفكرية. في الوقت الذي نسعى فيه كمثقفين ومفكرين نتبنى

من جديد بعد انهيار المعسكر الشيوعي 1989م، و سيطرة النظام العالمي الدولي الليبيرالي الحر الجديد.

33/ أبو بكر جابر الجزائري.منهاج المسلم.دار الصديقية.الجزائر.دون طبعة الرؤية التأصيلية الحضارية إلى محاولة بعث و اشاعة المصطلحات القرآنية.
37/ راجع المخططات والفلسفات والأنظمة التي استوردتها الأمة العربية والاسلامية عن طريق الكيانات و الأنظمة التي كانت.قائمة: فقد اعتمدت الأمة العربية و الاسلامية خلال نهضتها الأولى 1802م... 1952م على استيراد الفلسفة الليبيرالية الغربية، ثم عدلت عنها بعد الحركات و الثورات الوطنية و الاستقلالية إلى الفلسفة الاشتراكية الشيوعية و مزجتها بالمفاهيم القومية و الوطنية العربية و غيرها 1952م ... 1990م . ثم عدلت عنها.